حوار جابر عصفور مع منظر الرواية الجديدة ميشيل بوتور

من خلال كتاب: تحديات الناقد المعاصر لجابر عصفور

الباحثة أمينة عرجوني
طالبة بسلك الدكتوراه
مختبر تكامل المناهج في تحليل الخطاب
المغرب

جابر عصفور أحد كبار النقاد والفاعلين الثقافيين والمفكرين العرب المعاصرين في مصر والعالم العربي، مشرفا ومسؤولا ووزيرا وانسانا، فاعلا حقيقيا في إنتاج حركة ثقافية عربية تنتصر للحداثة والتنوير والتجديد، أسهم بتآليف وترجمات كلها تنصب في النقد والتحليل والدفاع عن القضايا الاستراتيجية للفكر، وجميعها تنطلق من رؤية منهجية وبعد ثقافي واع... باحث عن خفايا الثقافة العربية، كان يؤسس لتجارب جديدة وينهض بالثقافة والفكر، كيف لا وهو من تلامذة طه حسين وقد أغواه كثيرا بقراءة التراث من منظور الزمن كما قال الدكتور جابر، ومما أعجب به جابر عصفور قول طه حسين: "هذه الحرية التي نطلبها للأدب لن تنال لأننا نتمناها فنحن نستطيع أن نتمنى وما كان الأمل وحده منتجا، وما كان يكفي أن تتمنى لتحقق مطالبك، إنما ننال هذه الحرية يوم نأخذها بأنفسنا لا ننتظر أن تمنحنا إياها سلطة ما، فقد أراد الله أن تكون هذه الحرية حقا للعلم، وقد أراد الله أن تكون مصرا بلدا متحضرا يتمتع بالحرية في ظل الدستور والقانون".

جابر عصفور ارتقى بالمؤسسات وجعلها ساحة للتنوير وصقلها لتأخذ مكانة (موئل الثقافة العربية).

هذه المقالة هي قراءة لفصل "حوار مع الآخر.. ميشيل بوتور" من كتاب تحديات الناقد المعاصر، هذا الأخير يرصد مجموعة من التحديات التي أصبحت تواجه النقاد بعد التغيرات المعرفية الكثيرة التي حدثت في العصر الحديث، ومن هذه التحديات التحدي الثقافي الذي ألحقه جابر عصفور بالتحديات المسطرة سابقا (التحدي النصي، التحدي المنهجي، التحدي الاجتماعي)، قد بين جابر عصفور أن مجال عمل الناقد الأدبي النص، وهو المساحة الحقيقية الوحيدة لممارساته التطبيقية والتنظيرية، فمن الثابت والمؤكد أن النص الادبي هو حرفته سواء كان هذا النص شفهيا أو كتابيا، عاميا أو فصيحا، منقسما على أجناسه وأنواعه فهو مهنة الناقد ومجاله الاحترافي.

يوضح جابر عصفور أنه كما يلتزم الجراح بالجسد الذي يجري عليه العمليات الجراحية فان الناقد ملتزم بالنص الذي يجري عليه ممارسته النقدية، وكذا ينطلق في ممارسته النقدية من أن المنهج هو العدسة التي تتطلع منها إلى النص بحثا عن أسراره وكنوزه الخفية والمغيبة.. في قوله أن البراعة ليست في الاخذ وإنما في التمثل وإعادة الانتاج واستعراض وجهات نظر أصحاب التيارات النقدية المختلفة في فهم النص وعلاقته بالعالم.

في اعتقاد جابر عصفور إن النقد الأدبي يشبه القاطرة التي تحتاج إلى الصيانة والكشف على آلياتها، خصوصا إذا ما شعر الناقد أن القاطرة لم تعد بالكفاءة نفسها مع التحولات والمتغيرات الطارئة في العالم. لا بد من المراجعة لكي تعود الاجزاء المحركة للقاطرة إلى حالتها الأولى من الكفاءة والسرعة.

قال أيضا إن النقد الأدبي عملية مساءلة متعددة الأطراف والأجواء، فهو مساءلة تبدأ بانتقاء النظرية الموائمة للتحليل، بمعنى معاصرة للتحولات والتغيرات الواقعية المجتمعية، والاهم هو التمثل الكامل والعميق للنظرية وإدراك جوهرها وليس عرضها فقط.

كذا البعد المنهجي الذي يجعل الناقد لا يفارق الموضوع في الممارسة النقدية، فالناقد لن تكتمل له صفة الناقد إلا ذا كان ينتقي المنهج بعناية بالغة ويتمثله تمثلا حسنا.

وسأتطرق في هذه المقالة للمحاور التالية:

_ المحور الأول: ظروف ظهور الرواية الجديدة.

_ المحور الثاني: اقتران ميشيل بوتور بالرواية الجديدة.

_ المحور الثالث: إضافات ميشيل بوتور للرواية الجديدة

_المحور الرابع: الرواية الجديدة في تصور ميشيل بوتور.

ظهرت الرواية الجديدة إثر الثورة التي ولدتها هزيمة 1967 حيث نشبت على إثرها تمردات ورفض كل ما هو تقليدي وكلاسيكي، جعلت الشباب المثقفين يتطلعون إلى البحث عن مدارس ومذاهب نقدية جديدة والتخلص من أسر الماضي. وممن اقترن بالرواية الجديدة ميشيل بوتور.

ميشيل بوتور أديب وشاعر يعد من أهم كتاب الرواية الجديدة في فرنسا إلى جانب روب جرييه وناتالي ساروتي وكلود سيمون وفيليب سولرز...، ولد يوم 14 شتنبر 1926، درس الفلسفة والفيلولوجيا (فقه اللغة) في جامعة السوربون، توفي يوم 24 غشت 2016.

وقد ساهمت تنقلاته العديدة كمدرس للغة الفرنسية في مصر وبريطانيا واليونان وسويسرا في إغناء تجربته الكتابية الرائدة.

من أهم أعماله الروائية (ممر ميلانو 1954- جدول الوقت 1956- التعديل 1957- درجات 1960) التي اعتبرها النقاد ركن من أركان التحولات التي شهدها عالم الرواية الفرنسية في وقتها، حيث نسف فيها بنى الرواية التقليدية، كانت الرواية بالنسبة إلى بوتور مكان لقول الشعر والفلسفة كما يمكن للشعر أن يكتب بانماط مختلفة غير مرتبطة بالشعر التقليدي، وهكذا ترتبط الكتابة بذاتها بالرسم والموسيقى حتى تشكل في المحصلة ما يسميه "الكتاب الموضوع".

الرواية الجديدة كانت تيارا صاعدا في الأدب الفرنسي انتقل منه إلى آداب العالم الثالث التي تأثرا أجيالها الشابة بالنزعة المتمردة التي انطوت عليها الرواية الجديدة، كانت نقلة نوعية بما عرفت من تمرد ورفض للأوضاع مقترنة بثورة الطلاب وتمرد الشباب، أو جيل الستينات على الأوضاع في أقطار العالم العربي.

الرواية الجديدة كانت سندا لكل ما يتجاوب واياها من تمرد على الواقع الروائي التقليدي في السرد والبناء الروائي، فهي تتميز بكونها عارية تماما من الزخارف الأسلوبية وأنها تهجر الاستعارة والتشبيه في سعيها للوصف الفيزيقي للأشياء، مما جعل البعض يطلق عليها الرواية الشيئية، وبعد هذا أصبح يطلق عليها الرواية الشارحة كونها تشير إلى نفسها بالقدر الذي تشير به إلى العالم خارجها.

حركة الرواية الجديدة أو المعاصرة لا يمكن القول بأنها قطعت الصلة بالماضي فهي تتوسط إبداعيا ما بين الحداثة وما بعد الحداثة، ولم تنشأ من عدم مطلق، فالمبادئ والحلول التي وضعها أتباع الحركة موضع التطبيق هي خلاصات لتجاوز الآراء السابقة، ونتاج لكشوفاتهم وابتكاراتهم.

عندما نستخدم مصطلح الرواية الجديدة نقصد به الحركة الروائية التي بدأت في فرنسا في الخمسينيات من القرن العشرين، والتي أطلق عليها هذا الاسم "Nouveau Roman" وتتميز هذه الحركة بعدة خصائص تجعل منها تعبيرا عن الثورة على أسلوب الرواية الكلاسيكية.

ومن مبادئ حركة الرواية الجديدة أنها ليست جديدة كليا وهي ليست تجمعا نظريا لقوانين وضع الرواية، وإنما هي إطار للبحث عن الجديد والممكن في كتابة الرواية. بل إن الرواية بمفهوم هذه الحركة لا تعد مشروعا عصيا على التحديد المسبق أو التأطير في قوالب جديدة.

هناك من قال منذ زمن بعيد بعدم لزومية الحبكة القصصية، في حين أقر فرانز كافكا بالإشارة إلى الشخصيات بأول حرف من اسمها.

وميشيل بوتور واحد من مؤسسي نظرة مغايرة إلى الزمان والمكان في الرواية الجديدة، ويرى بوتور أنه ليس للزمن وجود موضوعي وانه ينتج من أفعالنا، ويدخل معنا في علاقة جدلية يحقق نفسه من خلالها.. ونحقق نحن وجودنا من خلاله، فالزمن ليس محتوى تتكدس فيه الأحداث وانما يرتبط بنا، ويتعلق بحركات وجودنا نفسه، ووصف ميشيل بوتور الرواية بكونها بحثا وهي أحد الأشكال الخاصة للحكي.

يميل بوتور إلى التجريبية في الأدب. إنه يقول: إن الكتابة هي الإطاحة بالحواجز. وهذا ما يجعل تصنيف أعماله صعباً. وقد كان بوتوؤ قد لفت الأنظار إليها من خلال رواية "التعديل" أو "التحول" والتي نسف فيها البنى السردية التقليدية للرواية.. وحاز بفضلها على جائزة بونودور الأدبية عام 1958. نجد أنها تمثل نموذجاً لما يمكن للرواية أن تكون عليه حين يطغى الوصف على الأحداث، و قد استعمل فيها ضمير المخاطب "أنتم" من خلال جمل طويلة ملتفة، بما يوحي بمجهود لدعوة القارئ إلى التماهي مع محتوى وعي خيالي، هذا الاستخدام بضمير المخاطب بصيغة

الجمع جعل من قراءة هذه الرواية تجربة فريدة وأخاذة للقراء الذين لديهم استعداد أكبر لقراءة أكثر انتباها وتورطا، بحيث يستمرون في الامساك بسياق الرواية للاستفادة الكاملة من التغير الذي سيطرأ على مسار تفكير بطل الرواية ورجوعاً إلى مقولة بوتور "الكتابة هي الإطاحة بالحواجز" نجد أن بوتور قد أطاح بالحواجز كلها في هذه الرواية التي تعد أحد أهم أعمال القرن العشرين في الرواية الجديدة...

كانت تجربة ميشيل أساس اقترانه بالرواية الجديدة رغم مقاومته الاقتران بها، وتوافقت روايته التحول مع المبادئ الأساسية للرواية الجديد المكتوبة كلها بضمير المخاطب ومزجها بين الواقع والوهم فضلا عن الالتباس المبنية عليه من ناحية أخيرة.

كان هناك تقارب بين روايات ميشيل بوتور وجاك ريفال متمثلا في مزج هذا الأخير أيضا بين الواقع والوهم. وتقارب مع رولان بارت، فبارت كان معجبا بأفكار ميشيل بوتور لما فيها من سيميتريات صارمة واعتبار رواياته مثالا إبداعيا للبنيوية ولم يغفل عن الخاصية الكتابية لأعمال بوتور الإبداعية التي تتميز بنثر شعري تجعله الأقرب إلى بودلير.

إن الرواية الجديدة تمثل انفلاتا وانعتاقا من كل الأشكال التي قيدت الكتابة الروائية التقليدية، فقد انصرفت عن الأصول الثابتة للسرد الروائي وآلياته وحررته من الحبكة الدرامية والبنى التقليدية فأعفت الراوي وجعلت من الحوار الداخلي عصب الرواية.

وترجع أهمية بوتور إلى أنه واحد من مؤسسي فكرة الزمان والمكان في الرواية الجديدة، فهو يرى أنه ليس للزمن وجود موضوعي بل هو ينبع من أفعالنا، ويكون معنا علاقة جدلية يحقق نفسه من خلالها، ونحقق نحن وجودنا من خلاله أيضا "فالزمن ليس محتوى تتكدس فيه الأحداث إنما هو يرتبط ويتعلق بنا و و بحركات وجودنا" والأفكار تعتمد على أساس فينومينولوجي يقول بوتور في كتابه "الرواية كبحث/ la recherche comme Roman": " الرواية هي أحد الأشكال الخاصة للحكاية/Récit والحكاية كما هو معروف ظاهرة أوسع وأكبر بكثير من ميدان الأدب"

إن ميشيل بوتور يستكشف الفنون بوصفها وحدة واحدة ويرى ثقافة العالم نسيجا هاربا ينطوي على تنوعات لانهائية، لا تنفي وحدة هذه الثقافة، حيث يؤكد وحدة التنوع الخلاق للثقافة الإنسانية، ويرى ميشيل أن موسيقى الجاز فيها إبداع جدير بالاهتمام لا التهميش كما فعل بها البعض، ومن أفكاره الجذابة أيضا قوله أن كل كاتب يسهم في الميراث الثقافي للإنسانية، فالكتابة إعادة اكتشاف للماضي والحاضر وإرهاص بالمستقبل في الوقت نفسه. يمكن تصور الكتابة أنها فعل تحول لا ينقطع ولا يتوقف. بوتور كان مهتما بالعلاقة بين الفنون واختلاف طرائق تمثيلها للواقع.

وختاما يمكن الركون إلى أن الرواية التقليدية التي سادت في القرن 19 ومطلع القرن 20 لم تعد ملبية لحاجات العصر الجديد، ولا سيما بعد سلسلة من الأحداث والتحولات التي أسهمت بظهور الرواية الحديثة التي شكلت أول انتهاك للبناء التقليدي عبر خلخلة ذلك البنيان واللجوء إلى تقنيات جديدة ولاسيما توظيف تيار الوعي، وتراجع مكانة الشخصية الروائية بالإضافة إلى كسر حاجز التسلسل الزمني، بالتزامن مع ظهور تيار الواقعية السحرية المعتمدة

على العجائبي والغرائبي، فتيار مدرسة الرواية الجديدة نبذ الشخصية والزمن الروائي، في حين لجأ إلى أساليب سردية جديدة كاستخدام ضمير المخاطب والاعتماد على الوصف الخارجي للظواهر مع التحرر من أي التزام، أو موقف أخلاقي أو سياسي أو اجتماعي بشكل واضح، مما يعني بالضرورة خروجها وتمردها على بنية الرواية التقليدية والحديثة، مع السعي لوضع تصور جديد للفعل السردي الذي ينتمي إلى عصر يفقد يقينه.

المفاهيم:

-التشيءRéification :ظهر في كتاب "الناقد المعاصر" للوسيان گولدمان في الستينيات للدلالة على اختفاء الشخصية في الرواية الجديدة التي حلت محلها الأشياء التي تقضي على كل مبادرة إنسانية، أي حل مكان الشخصية واقع مادي مستقل عن العالم حيث تتحول الشخصية نفسها من موضع تبادل إلى شيء مستقل عن نشاطها وإرادتها.

-الفرق بين الرواية الجديدة والرواية الحديثة: تفارق الرواية الجديدة الرواية الحديثة في رؤيتها المنطقية اليقينية للعالم الراهن، الحضارة الراهنة التي تستلزم إنشاء أدب يتلاؤم معها ولا يتناشز. لقد جاءت الرواية الجديدة لتنقض الرواية التقليدية وتتجاوز الرواية الحديثة عبر استخدام تقنيات وأساليب جديدة.